شنگال في ذاكرة التاريخ

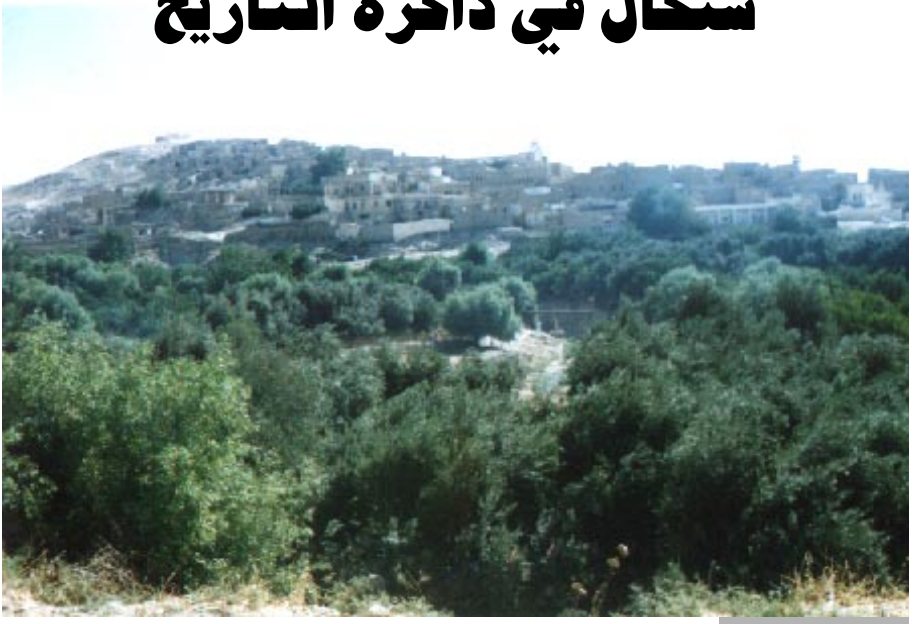

اعداد:
خالد تعلو خضر / شنگال

قبل الدخول في تفاصيل عن منطقة شنگال ومدى اهمية المنطقة لكونها تمثل مركز رئيسي لوجود الكورد الايزديين نؤكد بان العديد من الرحالة والمؤرخين كتبوا عنها ولكنهم لم يكتبوا الا فيما ارادو ان يكتبوا حيث لم تول الاهتمام المطلوب بدور الكورد الايزديين في التاريخ الحديث هذا من جهة وكذلك فان الذين كتبوا عن شنگال هم بالاصل ليسوا من اهل شنگال لذلك فان دراساتهم ومؤلفاتهم كانت غير متكاملة ، اما الان فعلينا نحن ابناء شنگال ان نأخذ

دورنا في بيان تاريخ شنگال وان ننقل الحقائق بشكلها الصحيح من خلال البحث والدراسة لأن تاريخ شنگال تاريخ عريق واتمنى ان يكون تجربتي هذا بداية تفتح الافاق امام بقية المثقفين من ابناء منطقة شنگال، وان يخرجوا من سباتهم الطويل يكفينا ما حصل لنا في الماضي من الالم ولنترك الكهوف والجبال ونحاول ان نلتحق بقطار التطور الحضاري وتبقى ماضينا رمز من رموز الحياة القاسية التي عشناها في السابق وقد حاولت في هذا الجهد المتواضع ان اجمع بين الجوانب المختلفة في منطقة شنگال من خلال بيان الموقع الجغرافي ودلالات التسمية بهذا الاسم كذلك تسليط الضوء على بعض المناطق الاثرية فيها وبشكل مختصر والحملات العسكرية التي استهدفتها والوقوف على بعض الشخصيات المهمة فيها والنشاط الاقتصادي في السابق. والوقوف على تسميات العشائر المتواجدة فيها واسماء القرى التابعة لها عسى ان اكون قد وفقت فيما كتبت بالرغم من قلة المصادر المتوفرة .

الموقع والتسمية..

منطقة شنگال تعتبر من المناطق والمواقع الرئيسية المهمة التي يسكنها الكورد الايزديين في كوردستان الجنوبية وجاء في سالنامات ولاية الموصل العثمانية ان شنگال تعتبر احدى اهم مناطق الجزيرة التي يسكنها الكورد الايزديون التي تقع في غرب الموصل وفيه عوارض طبيعية واسعة وهو صعب المرور وتمتاز بمائها العذب وهناك مصادر تشير الى ان وجود الايزدية في شنگال يرجع الى ما قبل قيام الدولة الاشورية(١)، ومنطقة شنگال من المدن القديمة والمهمة من حيث موقعها الجغرافي وقد لعبت دوراً مهماً منذ العصور القديمة حيث كانت تمر بها القوافل التجارية بين مختلف مدن المنطقة وتقع شنگال في اقصى غرب كوردستان الجنوبية حيث اقيمت هذه المدينة على ربوه سفح جبل شنگال الذي يمتد اكثر من ٧كم ويرتفع في اعلى قمة ٤٨٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر وضمن دائرة عرض ٢٢و٣٦ شمالاً وخط طول ٤٧و٤١شرقاً(٢) وبذلك ساعدها هذا الموقع على ان تكون مفرق طرق القوافل التجارية في السابق(٣).

اما عن التسمية... فتتنوع الروايات في اسم شنگال فبعضهم يقولون ان سفينة نوح لما مرت بجبل شنگال نطحته فقال نوح هذ سن جبل جار علينا ومنه اخذ اسم سنجار وقال ابن الكلبي انما سميت سنجار بأسم بانيها وهو سنجار بن دعر بينما ينقل الحموي بأن سنجار تعريب شنكار وفي الكتابات المسمارية ورد اسم سنجار بهيئة سنكور وفي بعض النصوص الاشورية اسم سنكار وتعني السهل العظيم او اسم يطلق على كورة في الصحراء(٤) ، والغالب هو شنگال حيث يتلفظها الايزديون شنگار او شنگال والتي تعني الارض الجميلة كذلك شنگال تعني كثير العمل لأن المنطقة كانت منطقة تجارية مهمة في السابق.

المواقع الاثرية في شنكال

كما تؤكد المصادر التاريخية فان بناء شنگال تعود الى فترات زمنية قديمة لذا نجد بان هناك العديد من المناطق الاثرية فيها حيث ان في كل بقعة من بقاع المدينة هناك بقايا من الحضارات القديمة وكثيرون هم اولئك الرحالة الاوربيين وغيرهم الذين زاروا شنگال وكتبوا المذكرات والروايات والقصص الاسطورية ولكنهم لم يكتبوا الا فيما ارادوا ان يكتبوا وبدوافع شتى ومنهم الرحالة الانكليزي جيمس ينكنهام سنة ١٨١٦م

مناطق اثرية من شنگال القديمة

منارة شنگال

الذي دخل من سوريا اليها عبر مدينة نصيبين ليصور مشاهداته حيث يقول عندما تدخل شنگال سوف تواجهك خرائب باب الخان حيث الزنكيون قاموا برسم رمزهم في هذه الخرائب وهم يدفنون وثائق الجهاد تحت باب الخان وعندما نقترب منها سوف يلاقينا التل الاثري المعروف بـ«كريّ رەش» الذي يعود الى فجر السلالات ٣٠٠٠ق.م وفي قلب شنگال في التشقق الذي يحفر بالجبل التاريخي تلتقي بـ قجراغ ودريد عاص وغيرها من المناطق الاثرية في هذه المدينة العريقة بالاضافة الى ذلك سوف يلاقيك السور الروماني الشهير الذي يتميز ببنائه الفخم ومنافذه الصخرية المتقنة. فالرومان غزاه وقاموا بالاستحواذ العسكري عليها استمر زهاء ١٧٠ سنة وهناك اثار اخرى تؤكد على ان شنگال من مدن العصور الحجرية فأثار (خليل) في قرية جزيرة وقصر (كاخا) في قرية خانصور و(كيدا شيكاستي) في قرية زركا ترجع بعصورها الى دور الحسونة ٥٢٠٠ق.م، كذلك توجد في كهف (قجراغ) في جبل شنگال وفي داخله غرف متشعبة وصور غريبة على هيئات مختلفة تمثل حيوانات وطيور تعود الى ازمان قديمة. كذلك كهوف (قزلكند) وخرائب شنگال في الجهة الشمالية للسور الروماني وخرائب (كوهكمت) و(تل اجمة) وغيرها من المناطق الاثرية التي تعود الى العصور الحجرية والقديمة.

وأروع ما يقدمه الفن المعماري القديم فيها (المنارة) التي تقع في وسط شنگال

وادي « بسته » الذي يقسم شنگال

الذي تهدمت اطرافها من جراء السيول والامطار القادمة من اجبل ويوجد في داخله اي داخل المنارة سور حلزوني مثبت على جدرانها وفي بدن المنارة الاعلى نص كتابي محفور على الاجر بحروف كبيرة تشير الى تاريخ بناء المنارة وبهذه الصيغة: (تطوع بعمارته العبد الفقير بن آق سنقر في شهر محرم سنة ٥٢١هـ) ويذهب ابن خلكان في وفيات الاعيان الى ان هذا التاريخ يقع في عهد عماد الدين زنكي او قبله بقليل(٥).

الحملات العسكرية (فرمانات) التي استهدفت الكورد الايزديون في شنگال

كما قلنا في السابق كان منطقة شنگال تمثل مفترق طرق القوافل التجارية التي كانت تمر بها وكون سكان المنطقة غالبيتهم من الايزديون فقد كان هدفاً سياسياً ودينياً من قبل حكام الموصل العثمانيين لقيامهم بحملات كان يقودها امراء الموصل وكانت تشكل اخطر اساليب الابادة الجماعية لسكان المنطقة وكانت الدولة العثمانية تبرر هجمتها بأسباب لا صحة لها على حد قول لونكريك بأن الايزديون كانوا يشكلون احدى المشاكل الرئيسية التي تواجهه الدولة العثمانية في غرب الموصل وبذلك استمر سياسة الدولة العثمانية ضد الايزدية طيلة القرن الثامن عشر واستمر الى القرن التاسع

عشر(٦) وتشير وثيقة عثمانية مؤرخة في اواسط عام ١٨٠٤م بان الحملات التي كانت تقاد من قبل حكام الموصل الجليلين وتحديداً حملات محمد باشا الجليلي لم تكن تخططه وتوجهه من الموصل وبغداد فقط بل ان الباب العالي نفسه كان يهتم في امر توجيه مثل هذه الحملات ضد ايزدية شنگال(٧) كذلك للوقوف على الاهداف السياسية للدولة العثمانية ضد ابناء منطقة شنگال مما ذكره الرحالة التركي اوليا چلبي نفسه حيث وصف في رحلته مدى غناء جبل شنگال بالموارد الاقتصادية وكذلك ما ذكره والي ديار بكر مصطفى باشا الچلبي مدى الغنائم والموارد والاستفادة المادية التي جناها احمد باشا الوالي السابق اثناء حملته على ايزدية شنگال ١٩٣٩(٨) وكان من اخطر ما واجهه الايزدية في شنگال من قبل الدولة العثمانية قيام السلطان العثماني في نهاية عهد السلطان سليمان القانوني باستخدام السلاح الديني ضد الايزدية، فصدرت اول وأخطر فتوى عثمانية اصدرها مفتي الدولة الرسمي ابو السعود العمادي اباح فيها قتلهم علناً وبيعهم في الاسواق شرعاً(٩)، واستحصلت فتاوي في تكفيرهم او ارتداهم فازدادت من دوافع الحملات العسكرية ضد الايزدية وخاصة في شنگال حيث ان هناك ٧٢ فرماناً استهدفت الايزدية لا مجال لذكره(١٠).

هذه الحملات استهدفت ارواحهم واموالهم وقراهم وبعد انهيار الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى وتعاقب الحكومات العراقية وبحلول السبعينات وبسبب انتماء الايزدية الى القومية الكوردية تعرض ايزدية شنگال الى اخطر حملة تعسفية من قبل النظام البعثي الدكتاتوري تمثلت باتباع سياسة التعريب والتهجير القسري لأبناء المنطقة والعمل على تغير ديموغرافية المنطقة وانشاء المجمعات القسرية لهم.

بعض الشخصيات التي لعبت دوراً في شنگال

بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى تسارعت الاحداث في منطقة تواجد الايزديون وسارعت الدولة العثمانية الى استعدادها الى التجنيد الالزامي على رعاياها الغير المسلمين خاصة في شنگال وقد توجه اسماعيل جول بك للأقامة في شنگال واتصل به ابرز زعماء الجبل منهم حمو شرو وداود الداود هولاء كان لهم الدور البارز في مقاومة

الدولة العثمانية وابدو استعدادهم قبول اللاجئين الارمن في جبل شنگال ويذكر المسس بيل ان الايزديون اظهروا عطفاً كبيراً على المسيحيين الارمن وتقول ليدي عن ذلك: للأيزيدية شهرة خاصة شائعة في حب الخير والاحسان فقد بلغني ان قرابة الـ٤٠٠ لاجئ خلال الحرب العالمية الاولى اندفعوا الى شنگال تحت حماية الايزدي المعروف حمو شرو(١١)، كذلك اثناء حملة فريق عمر وهبي على عشيرة بكرا في جبال جوانا التي تعتبر فخذاً من افخاذ الدنادية ظهرت شخصيات كان لها دور مهم في الوقوف في وجه تلك الحملات ومنهم سڤوكێ مطو ومحما عڤدو وقد اعطى الاستاذ ريسان حسن في مقالته من مشاهير الكورد توضيحاً كاملاً عن سڤوكێ مطو في العدد ٢١ من مجلة لالش ص٨٧ وأما عن محما عڤدو احد ابرز القادة الايزديون فتحدث عنه السيد شيخ حجي سمو في مجلة لالش عدد ٢٢ . اضافة الى ما ذكره السيد شمو قاسم دناني عن حمو شرو في مجلة لالش العدد (٢٠) وما ذكره الٹسيد سعيد خديدا عن داود الداود.

المصادر والمراجع

(١) عدنان زيان فرحان، الكورد الايزديون في اقليم كوردستان.
(٢) مجلة لالش عدد ٢١ ص٧٣، كفاح محمود كريم، لمحات عن التطهير العرفي في شنگال.
(٣) عبد الرزاق حسني، الايزدية في حاضرهم وماضيهم ص٩، الهامش
(٤) حميد المطبعي، رحلة الى شمال العراق ص٧٣
(٥) المصدر السابق.
(٦) مجلة لالش عدد ٢٠، عدنان زيان فرحان، الكورد الايزديون في اقليم كوردستان.
(٧) ارشيف رئاسة الوزراء باستانبول الوثيقة رقم ٥٣٦ نقلاً عن حسن ويسي م.س.ص١٥
(٨) اوليا جلبي، الكورد في تاريخ الشعوب المجاورة، الترجمة الى الكوردية مجلة لالش ١٤ ص١٤٠
(٩) عدنان زيان فرحان، الكورد الايزديون في اقليم كوردستان.ص٣٤
(١٠) زهير كاظم عبود، لمحات عن الايزدية.
(١١) عدنان زيان فرحان، الكورد الايزديون في اقليم كوردستان.